المعادية وبذات الوقت ترك زمام المبادرة بيد القوات المضادة للثورة) . فقد كانت المقاومة قادرة باقرار الجميع الان، على حل ازدواجية السلطة منذ اواخر عام ١٩٦٩ ، وبالتحديد في الفترة الواقعة بين شباط ١٩٧٠ حتى حزيران من نفس العام . اما بعد ذلك فان موافقة القاهرة على مبادرة روجرز كانت لها تأثيرات مباشرة على الوضع في الاردن كما ذكرت . الا ان منظمة فتح ممثلة بقيادتها تحديدا وبشكل ادق العناصر القيادية الحاسمة بتحديد سياسة فتح ، رفضت طيلة الفترة السابقة على أيلول النداءات الموجهة لها باستمرار بضرورة تنظيم أوضاع المقاومة بما يمكنها من اخذ زمام المبادرة والانتقال من مواقع الدفاع السلبي الى مواقع الدفاع الهجومي رغم ان جريدة فتح التي يحررها فريق من منظمة فتح كانت تصرخ منذ تموز بأن الجولة القادمة ... الجولة الحاسمة والاخيرة . بعد ايلول تمثلت هذه السياسة بوضوح بخط التراجع المتفكل وغير المنظم امام متابعة النظام الرجعي هجماته على حركة المقاومة الفلسطينية . وهذا هو الوجه الاخر للسياسة اليمينية التي طبعت ممارسات قيادة فتح . بينما وقف اليسار مطالبا بضرورة حسم العلاقة مع السلطة الرجعية في عمان ، ويترتب على هذا تنظيميا وعسكريا الانتقال الى اوضاع سرية وعدم الرهان على الاوضاع العلنية الباقية والتخلي عن احتمال امكانية التعايش مع هذا النظام تحت تأثير الضغوطات العربية ، علينا ان نقطع حبل خداع الرجعية السياسي بأنها تريد التعايش مع «الفداء الشريف» بينما تواصل عمليا حملات الابادة العسكرية والارهاب الاسود،والانتقال الى تكثيف النضال باتجاه اقامة حكم وطني ديمقراطي في البلاد . الا ان كل هذه النداءات لم تنجح مع قيادة فتح التي راهنت على الضغوطات العربية من اجل فرض التعايش مع النظام الرجعي والاحتفاظ ببقايا الاوضاع العلنية للمقاومة في الاردن ، لتأتي الاحداث من جديد وتؤكد خطأ هذه السياسة ، وصحة السياسة اليسارية التي طرحت هذه المواقف بشكل صارخ في اجتماعات اللجنة المركزية في كانون الاول ١٩٧٠ في عمان ، ثم جددنا هذا الطرح في ٥ ك٢ ١٩٧١ في اجتماعات أمانة سر اللجنة المركزية في جرش ثم جدد هذا الطرح ايضا في اذار ١٩٧١ في دمشق ، لكن قيادة فتح اصرت باستمرار على نهجها بعد ايلول بالرهان على وهم قبول الحكم الرجعي بالتعايش مع المقاومة تحت ضغط الانظمة العربية . وهذه السياسة لا زالت تسحب نفسها حتى الان ممثلة بالموقف من الوساطات « العربية » .

ألم يكن التراجع بعد نتائج معركة ايلول محتما ... وماذا تعني بالتراجع المنظم ؟

ان طريق الثورات مليء بالالتواءات ، واحيانا الالتواءات الحادة . ولكن الفاصل بين ثورة ظافرة واخرى متعثرة هو في طريقة تعاملها مع هذه الالتواءات المفروضة عليها بفعل اختلال موازين القوى . واسمح لي هنا ان اعطي مثلا سريعا من امثلة عديدة يمكن ان نذكر من تجربة الثورة الصينية . فقد طرح الحزب الشيوعي الصيني والجيش الاحمر على الكومنتانغ تنظيم جبهة وطنية مناهضة للامبريالية اليابانية . وفعلا شكلت هذه الجبهة ما بين عام ١٩٢٤ — ١٩٢٧ الا ان الكومنتانغ نقض الاتفاق وبدلا من توجيه كل البنادق الى صدر الامبريالية اليابانية بدأ يشن حملات التطويق والابادة على الحزب الشيوعي والجيش الاحمر . وأمام تفوق قوات الكومنتانغ تراجع الجيش الاحمر بالمسيرة الكبرى المعروفة للافلات من قبضة القوات المضادة الساعية لتطويقها وابادتها. وبدأت المسيرة الكبرى من ٣٠٠ الف مقاتل لتنتهي الى ٣٠ الف مقاتل فقط بين شعب تعداده ٦٥٠ مليونا حينذاك .

وهذا التواء حاد فرض على الثورة الصينية وتراجع كبير دفعها للتخلي عن العديد من القواعد الثورية التي نجحت بانتزاعها من الكومنتانغ والامبريالية اليابانية وشكلت قواعد ارتكاز وانطلاق لها . كما دفعها للتخلي عن العديد من مراكز التأثير في المدن ايضا . الا ان كل عملية التراجع اتخذت طابعا منظما يقوم على الاحتفاظ بالقوى الاساسية التي بدأت عملية الانسحاب . وبذات الوقت نظمت عملية تغطية لهذا الانسحاب تمثلت ببقاء العديد من القواعد الثورية تقاتل ضد هجمات الكومنتانغ ، وبقاء العديد من قوات المليشيا في المدن ، من اجل تبديد وبعثرة قوات الكومنتانغ ، كما وظفت عملية الانسحاب في تمتين وبناء العلاقات السياسية والتنظيمية مع جميع المناطق التي مروا بها وتنظيم عملية اعادة نشر السلاح بين الفلاحين ، مما أبقى الصراع مفتوحا ضد قوات الكومنتانغ . وبذات الوقت تمكنت القوات الاساسية من ان تحتفظ